الشـــاهنـــامـــة والأدب العـــربي في ندوة اللغـــة العـــربيـــة

استضاف «سمنار» قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتـور محمد السعيد جمال الدين ، أستاذ اللغة الفارسيـة والأدب المقـارن لإلقـاء بحث في مـوضـوع «الشـاهنامة والأدب العـربي» ، يـوم الخميس الموافق ٢٨/٢/١٩٩١ .

وعلى هامش هذه الندوة كان «لصوت الجامعة» هذا اللقاء مع الاستاذ الدكتور محمد السعيد :

حوار :

إسماعيل الشمري

* كلمة الشاهنامة ـ كما هو واضح ـ كلمة فارسية ، فما معناها ؟

ـ معناها : كتاب الملوك ، فهي كلمة مركبة من اسمين ، شاه : ملك ، ونامـة تعني كتاباً أو رسالة ، وقد أطلق الأدباء والنقاد العرب هذا الاسم نفسه (شاهنامة) على الكتب التي تناولت تاريخ ملوك الفرس قبل الإسلام ، ويطلق عليها «الجاحظ» في كتابه المعروف «البيان والتبيـين» اسم «سير الملوك» وعد الاطلاع عليها شرطاً ضرورياً من شروط العلم والأدب، فقال : ان من يحتاج الى العقل والادب والعلم بـالمراتب والعبـر والألفاظ الكـريمـة ، والمعـاني الشريفة ، فلينظـر الى سـير الملوك .

* إذا كان معنى كلمة «الشاهنامة» كتاب الملوك ، فهل يعني هذا انها تناولت سير ملوك الفرس وحدهم ، أم أنها اشتملت على موضوعات اخرى ؟

ـ تنقسم الشاهنامة من حيث الموضوع إلى ثلاثة عصور : العصر الأسطوري ، والعصر البطـولي، والعصر التـاريخي المكتـوب الذي ينتهي بـالإمبراطـورية الساسانية ، وآخر ملوكها يزدجرد الذي حدثت في عهده الفتوحات الاسـلامية ، وانتهى الأمر بقتله وبفتح صفحة جديدة من صفحات النور والفخار في تاريخ ذلك الشعب الأبي . ومن هـذا نـلاحظ أن شخصيات الشاهنامة لاتقتصر على الملوك وحدهم بل تمتد الى الأبطال ، ولاتقتصر على وصف الحروب ، بل هي أمشاج من قصص الحرب ، والحكايات ، والأسمار ، والأمثـال والحكم ، وأوصاف رائعـة للطبيعة ، وصور اخـلاقية ، وعـادات قومية ، ولاتبعث الشاهنامة برغم طولها ـ اذ تبلغ حوالي ٦٠ الف بيت من الشعر ـ عـلى الملل بسبب التنـوع الواضح في موضوعاتها .

* كيف عبّـر الفردوسي عن كـل ذلـك بالشعر ؟

ـ الفردوسي من كبار شعراء الفرس ، وقد استطاع ان يستخرج ماينطوي عليـه الشعب الفارسي من عبقريات كامنـة في الموسيقى ، وطرائف التعبير وساعده على ذلك تنوع الموضوع واتساع المجال ، كما اسلفنا ولذلك وقد فضلها ادباؤنا ونقادنا العرب القدماء والمحدثون على غيرها من كبريات الملاحم العـالمية ، كـالإلياذة ، والأوديسـا وغـيرهمـا ، وتـرجمت الشاهنامـة إلى معظم اللغات العـالمية شعراً احياناً ونثراً احياناً أخرى .

* وهل ترجمت شاهنامة الفردوسي إلى العربية ؟ وفي أي عصر ؟

ـ ترجمت في القرن السابع الهجري ، وقد نهض بالترجمة في سنة ٦٢١، الفتح بن علي البنداري الأصفهـاني لكنه اختصر نحو ثلثها ، وحذف مقدمات الفصول التي يتحدث فيها الشاعر عن نفسه أو يعظ ويبين العبر من تقلب الزمان ، كما حذف اوصـاف الحروب والمـآدب والخيول ، ونقل الحوادث مجـردة عن التصويـر الشعـري ، واصبحت الترجمة بذلـك هيكلاً من الأحداث ، مجرداً من عوامل الإعمار الفنية والجمالية التي بذل فيها الفردوسي مهجته وقضى فيهـا من عمره ثلاثين عـاماً أو يـزيد ، ليضفي بهـذه العـوامل جمـالاً وبهاء عـلى الأحداث التاريخية .

* وماأثر هذا الاهتمام على ادبنا العربي الحديث ؟

ـ إذا نظـرنا في مـرآة الشعر العـربي لنتلمس اثر الشاهنامة نجد ذلك واضحاً في مسرحيتين كتبهما اديب العربية الكبير الأستاذ محمد فريد ابو حديد ، وهما : «رستم وسهراب» ، و«خسرو وشيرين» ، وقد كان ابو حديـد من انصار الشعـر المرسل ، الذي لاينقيد بقافية ، وبخاصة في نظم المطولات والقصص ، ولذلك نظم المسرحيتـين في هذا النـوع من الشعر المرسل .

اما القصائد الخمس فهي لكل من : جميل صديق الزهاوي ، وعبد الوهاب عزام ، وشبلي الملاط ، والأخطل الصغير ، والشاعر المغـربي عبد القـادر المقدم ، وهذه القصائـد موضـوعها الفـردوسي والشاهنامة .

* كنت اتصور ان تكون الشاهنامة ـ بما فيها من اساطير ـ موضع اهتمام شعرائنا المعاصرين من أصحاب النزعة الجديدة ايضاً ، لأن الأساطير ـ كما نعلم ـ أهم روافد الشعر عند هؤلاء ، فهل يعني ذلك انهم تجاهلوا الشاهنامة ؟

ـ الحق انهم تجاهلوها ، وانكبوا على الملاحم اليونانيـة والرومـانية وحـدها فـاستـدعى بعضهم شخصيـاتهـا الخرافية ، حتى مـافيها من حيـوانات وكلاب ، ولم يتركوا بها شاردة ولا واردة إلا ورمزوا إليها وغمزوا بها حتى تهافتت هـذه الرسـوم عندهم ، ومجـوهـا هم وعافوها .

وموقفهم هذا لايمكن تبريره ، إلا إذا قلنا إن الترجمة العربية للبنداري قـد نفدت الآن ولم تعد موجودة إلا بالمكتبات العامة ، لكن للشاهنامة ترجمـات بكل لغات العالم غير العربية ، يستطيعون الرجوع إليها ـ إذا ارادوا ـ كما يستلهمون اعمالاً كتبت بلغات أجنبية .

وقـد سبق ان قلنا إن القـدماء بـل والمحدثين من ادبائنا فضلوا الشاهنامة على غيرها من الأعمال العالمية المعروفة في باب الملامـح لما تنطـوي عليه من قيم إنسانية وجمالية عامة ، فمع أنها تتناول تاريخ الفرس القدماء وامجادهم ، إلا أنها تتنـاول ذلك من خـلال إعـلائهـا للقيم الخلقية الرفيعة ، فهذه القيم مقدمة فيها عـلى الاعتبارات القـومية والعـرقيـة ، وتشيـع فيها روح إسـلامية وإيمـانية عميقـة ، واهم سمـات البطـولـة في الشاهنامة الإيمان بقضاء الله وقدره ، اما البطل في الملامـح اليونـانية فيصـارع الآلهـة ، وقـد يصرعهم لهـذا بـدت الشاهنامة افضل ـ في نظر ادبائنا القدماء والكثير من المحدثين ـ في هذا الباب من غـيرها ، واقـرب إلى وجـدان القـاريء العربي .

* اليس من الممكن ان نقول ان ترجمة البنداري ـ بما فيها من نقص وبتركيزها على الأحداث التاريخية ـ قد اسهمت في موقف بعض المعاصرين من الشاهنامة ؟

ـ قد يكون هذا صحيحاً ، ولذلك فإنني اقول ان ترجمة البنداري غير كافيـة ، وينبغي ان تعاد ترجمة الشاهنامة إلى العربية من جديد بصورة كاملة ، وحبذا لو كانت هذه الترجمة شعراً .